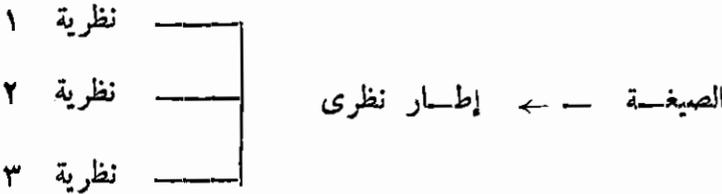


Mechanistic model وبتزعمها الأميركيون الذين يرون الطابع الميكانيكي لسلوك الإنسان فرغم أن الإنسان ليس بماكينة ولكن سلوكه يتطابق مع سلوك أى ماكينة . أما الصيغة الثانية هي الصيغة الكونية Organismic model وبتزعمها العقلانيون الذين ينظرون إلى الإنسان باعتباره كائنا بيولوجيا أو نظاما بيولوجيا له تركيبه المتكامل .

ولا يمكننا أن نحكم على صيغة ما باعتبارها خاطئة أو مصيبة فالصيغة لا تصف واقعا وإنما تضع أساسا لإطار نظرى تدخل فيه نظريات فهذه الصيغة هي التي تمد النظرية بمسلماتها بينما تقوم النظرية بمحاولة لتفسير الظاهرة والتحكم فيها أو التنبؤ بها . ويمدى صدق هذه التفسيرات والتنبؤات يتحدد مدى صدق النظرية ومن ثم فأننا قد نجد نظريات مختلفة داخل إطار نظرى واحد منبثق من صيغة معينة .



مفهوم النمو :

يشير النمو في مفهومه العام لما يحدث للكائنات الحية كلما مر بها الزمن من تغيير باعتبار هذا التغيير يسر بترتيب منسق يميز نوعا ما من هذه الكائنات وموضوع علم نفس النمو ليس ما يحدث فقط وإنما كيف ولماذا يحدث هذا التغيير وعندما نعود إلى الصيغتين السابق ذكرهما ونظرتهما لتلك الكيفية أو السببية نرى اختلافا بينا ومثال ذلك نظرة كل منهما للكيفية التي يحدث بها النمو ، هل يحدث النمو على شكل خطوات

تكاملية يتم الانتقال من خطوة إلى خطوة عن طريق الإضافة التدريجية أو على شكل خطوات غير تكاملية يتم الانتقال من خطوة إلى أخرى ليس عن طريق الإضافة التدريجية وإنما عن طريق إعادة التنظيم والاكتساب أى أن القضية هي النمو تكاملي أم غير تكاملي Continuous Vs. discontinuous ولكي نعطي مثالا لذلك دعونا نرى نظرة كل منهما للنمو اللغوي ، كيف ينمو الطفل في حديثه من مرحلة المناغاة إلى مرحلة الكلمة الواحدة إلى مرحلة الكلمتين إلى مرحلة الجملة السليمة ؟ يرى أتباع الصيغة الميكانيكية أن الانتقال كمي والدليل على ذلك أن مقياس هذا الانتقال عن طريق قياس التغيير الناتج عنه سيعطينا دليلا على زيادة المحتوى . بينما يرى أتباع الصيغة الكونية بأن هذه الأقيسة البسيطة للنمو تبعدنا كثيرا عن مفهوم النمو السليم ولا يعنى ذلك أنهم ضد القياس بالذات وإنما يرون بأن أتباع الصيغة الميكانيكية يغفلون بأقيستهم تلك أشياء تعتبر جوهر النمو فهذه الأقيسة التي استخدموها لا تقيس التعقيد المتزايد لكفاءة الكائن وأن النمو يتميز بظهور تركيبات جديدة وأن الانتقال من مرحلة المناغاة إلى مرحلة الحمل السليمة يتضمن سلسلة من عمليات إعادة التنظيم للأجهزة السمعية والنطقية والمعرفية ولأن التركيبات التي تنشأ عن إعادة التنظيم تلك جديدة فهم يرون بأن النمو غير تكاملي .

ومثال آخر لاختلاف الصيغتين هو نظرة كل منهما لمفهوم مرحلة النمو فبينما ينظر إليها أتباع الصيغة الميكانيكية باعتبارها مجرد مفهوم تحديدي وصفي وأن الفرق بين مرحلة وأخرى هو سرعة الاستيعاب عن طريق الاشتراط أو سرعة التذكر فإن مفهوم المرحلة عند أتباع الصيغة الكونية تحتل مكانا أساسيا في نظرياتهم التي تقوم على أساس وجود هذه المراحل وتتبعها وكل مرحلة منها تتميز عن غيرها بأنماط معينة للسلوك أى أن التغيير ليس كميًا بقدر ما هو نوعي . ومن أجل نظرة أكثر وضوحًا لهما الصيغتين نرى أن نذكرهما ببعض التفصيل مع بعض النظريات التي تستمد منهما مسلماتها .

الصيغة الميكانيكية The Mechanistic Model

كما ذكرنا آنفا فإن الصيغة الميكانيكية تشبه سلوك الإنسان لسلوك الماكينة وقد تكون هذه الماكينة بسيطة جدا أو معقدة جدا ولكن ما يميزها هو العلاقة بين المدخلات والمخرجات Input-out Put فأى تدخل على هيئة مثير على الكائن الحي ينتج عنه مخرج على هيئة إستجابة ويهتم الباحثون الذين يندرجون تحت مظلة هذه الصيغة بالعلاقة بين المثير والإستجابة والمبادئ التي تحكمها فالتغير يحدث نتيجة إستثارة ما يحدده تتابع المثير والإستجابة ويمكن قياس كميته في السلوك الظاهري للفرد .

ولقد أثرت أفكار جون لوك عن العقل البشري باعتباره صفحة بيضاء Tabula rasa في تأكيد هذه الصيغة فالعقل البشري بالنسبة لجون لوك عبارة عن صفحة بيضاء تملؤها بمرور الزمن الأفكار التي تنقلها الحواس المختلفة ثم تراكب هذه الأفكار حتى تصير معقدة ومن ثم فإنه لدراسة النمو يلزمنا أن ندرس كيفية تراكب هذه الأفكار البسيطة كما تؤكد فكرة جون لوك سهولة تشكيل الأطفال أى أن تعلم الأطفال يتم عن طريق تكوين عادات ومن هنا نستطيع أن نصل إلى نظريات التعلم المختلفة التي ترى النمو كيا تكميليا تهتم بدراسة السلوك البشري بإعتباره نتاج عوامل خارجية ويتضمن عماية الترابط بين مثير واستجابة - ويتم هذا الترابط عن طريق الاشتراط الكلاسيكي أو الاشتراط الإجرائي أو التعلم الاجتماعي أو تشغيل المعلومات .

أولا : التعلم الاستجابي :

في هذا النوع من التعلم يتعلم الكائن الحي أن يستجيب إستجابة معينة في حالة وجود مثير معين . ونجد جنود هذا النوع في دراسات الأشرط الكلاسيكي التي قام بها العالم الفسيولوجي الروسي إيفان بافلوف .

ولكى نتعرف على الأساس الذى يقوم عليه هذا التفسير وعلى مصطلحاته دعونا نعطي عرضاً سريعاً لبعض هذه الدراسات .

إذا رأى كلب قطعة من اللحم وبدأ لعابه يسيل وهو يأكلها فإن قطعة اللحم هى المثير غير الشرطى (م غ س) أى الطبيعى وعملية سيل اللعاب هى الإستجابة الغير شرطية (س غ ش) الطبيعة لهذا المثير، وظهور الإستجابة عند ظهور المثير يعتبر فعلاً منعكساً وليس فعلاً متعاملاً .

والآن فى موقف آخر مع نفس الكلب . دعونا نضئ مصباحاً فى حضوره فنجد أن تأثير ظهور الضوء لا يذكر أو قد ينعدم بالنسبة لسيل اللعاب . ولكننا إذا ما قرنا تقديم اللحم للكلب بظهور الضوء مرات متتالية وفى مرة نتوقف عن تقديم اللحم فسلاحظ سيل اللعاب لمجرد ظهور الضوء . إذن فالضوء الذى كان تأثيره شبه محايد بالنسبة للكلب أصبحت له القدرة على إستثارة إستجابة شبيهة بما يثيره تقديم اللحم - وهكذا أصبح ظهور الضوء مثيراً شرطياً (م ش) والإستجابة التى أثارها وهى سيل اللعاب المشابهة إلى حد كبير الاستجابة الطبيعية لقرب المثير الطبيعى هى الاستجابة الشرطية (س ش) ويعتبر هذا مثالا على التعريف الذى أوردناه سابقا عن التعلم لأنه أدى إلى تعديل فى السلوك نتيجة الخبرة وإذا انتقلنا إلى مثال من الحياة المدرسية نجد أن طفلاً فقيراً تكون لديه شعور بالخوف فى أول يوم من أيام الدراسة بسبب ملاحظات المدرس أو التلاميذ القاسية فأصبح يكره المدرسة وكل ما يمت لها بصلة من مدرسين وكتب وتلاميذ لإرتباطها زماناً ومكاناً بالموقف الذى أثار فيه هذا الشعور بالخوف .

ومن ثم فإن أى شئ يحيط بالفرد قد يصبح مثيراً لشعور معين إما سعادة أو حزنًا بما ارتبط به من أحداث وما أثارته لديه من مشاعر ومما لاشك فيه أن المدرس الذى يستطيع أن يحالل المواقف المحيطة بالتلميذ

في ضوء هذا التعلم الأساسي يعتبر في مكان أفضل بالنسبة لهم ومعالجة سلوك التلاميذ .

ثانيا : التعلم بالاقتران :

لاحظنا في النوع السابق من التعلم أن إرتباط المثير الشرطي بالمثير الغير شرطي يعتبر أساسا لحدوث الاشتراط الذي ينتج عنه التعلم ويرى بعض العلماء أن مجرد ارتباط الحوادث - أى حوادث - يكفي لحدوث خبرة ما تؤدي إلى تعلم هذا الارتباط ، فلا يلزم وجود نوعين من المثيرات بل مجرد ارتباط بين مثير معين وإستجابة ما يكفينا لحدوث هذا الارتباط ومثال ذلك تعلمنا لأسماء الأشخاص أو جدول الضرب في المدرسة بل إننا نجد في حياتنا أمثلة عديدة لهذا النوع من التعلم في صورة ما يتكون لدينا من التفكير النمطي الذي ينشأ عن تعلم اتجاهات وآراء لم ترد صراحة في الموقف التعليمي بالذات فتقديم مسرحيات وأفلام تحوى صورة معينة عن الحماية المتسلطة أو مدرس اللغة العربية المتزمت أو صاحب المِلْك الجشع سمىء مواقف تعليمية ينتج عنها النمطية . فربط ظهور هذه الشخصيات بمواقف تؤدي إلى لصق هذه الصفات بهم وينتج عن ذلك أن يتعلم الناس أن هذه الصفة هي الخبر لأى اسم يندرج تحت الوظائف رغم أنه ليس كل الحموات متسلطات أو كل مدرسي اللغة العربية متزمتون ولا كل أصحاب الملك جشعون . ووسائل الإعلام بل والكتب المدرسية ذاتها سمىء مواقف ينتج عنها هذه النمطية التي تؤدي إلى تعميم الآراء والاتجاهات . ورغم أن بعض أشكال هذه النمطية مفيد في حياتنا العملية نجد أن البعض الآخر غير مفيد بل وخطيء وضار أحيانا .

ثالثا : التعليم الوصيلي أو الإجرائي :

هذا النوع من التعلم أساسه التعزيز - ولقد استعمل على نطاق واسع

في أساليب تعديل السلوك behaviour Modification ويسمى بالاشتراط الإجرائى لأن السلوك المعنى يظهر تلقائياً دون ما إثاره بل نتيجة لإجراء من الفرد يتخذه حيال البيئة المحيطة به وهذا الإجراء أو السلوك يستمر ويتلاشى بناء على النتيجة التى تليه فالسلوك الذى يليه تعزيز يستمر والذى لا يليه التعزيز يتلاشى .

ويرتبط هذا النوع من الاشتراط بالعالم الأمريكى سكينر Skinner الذى قام بتقديم شرح واف له ولطريقة عمله بل وقدم الأدوات المعملية مثل الصندوق المعروف بإسمه التى تقدم الدليل على صدق هذه النظرية داخل المعمل بالنسبة للحيوانات وقام باختكار طريقة مدرسية لتعليم الخط مستخدماً نفس المبادئ التى يقوم عليها الاشتراط الإجرائى . وإذا كان الاشتراط الكلاسيكى يهتم باقتران مثير ويؤدى إلى تعلم ارتباط جديد بين مثير واستجابة موجودة فعلاً فإن الاشتراط الإجرائى يهتم باقتران التعزيز بالاستجابة الجديدة وثم يؤدى إلى تعلم هذه الإستجابة وحين يرى الاشتراط الكلاسيكى الفرد فى موقف سلبى ينتظر المثيرات ليرد عليها باستجابات فإن الاشتراط الإجرائى يرى الفرد فى موقف إيجابى يؤثر فى بيئته وبناء على رد فعل هذا التأثير تتحدد نتيجة الموقف التعليمى .

رابعاً : التعلم بالملاحظة : (التعلم الاجتماعى)

وهناك نوع آخر من التعلم هو التعلم بالملاحظة والتقليد وهذا النوع يعتمد على وجود النموذج فى الموقف التعليمى وتقليد هذا النموذج من جانب المتعلم ويطلق على هذا النوع من التعلم أحياناً نظريه التعلم الاجتماعى Social learning theory حيث أنه يحدث فى جو اجتماعى ويحدد أهدافه المجتمع الذى يعيش فيه الفرد بل وأغلب صورته نجدها فى السلوك الاجتماعى للإنسان . وملاحظة النموذج أو الموديل يمكن أن تعدل سلوكنا على النحو التالى :

- (أ) نتعلم سلوكاً جديداً .
 (ب) تسهيل إتقان سلوك موجود فعلاً .
 (ج) كف أو رفع الكف عن سلوك متعلم .

وفي النحو الأول : نتعلم نطق بعض الكلمات الجديدة عن طريق ملاحظة المدرس وهو ينطقها .

وفي النحو الثاني : فإننا قد نتقن مهارة معينة عند رؤية النموذج أمامنا كإتقان المشية العسكرية مثلاً .

وفي النحو الثالث : بأن ملاحظة إنسان معين يتعرض لحادث معين قد يؤدي إلى الكف عن سلوك معين .

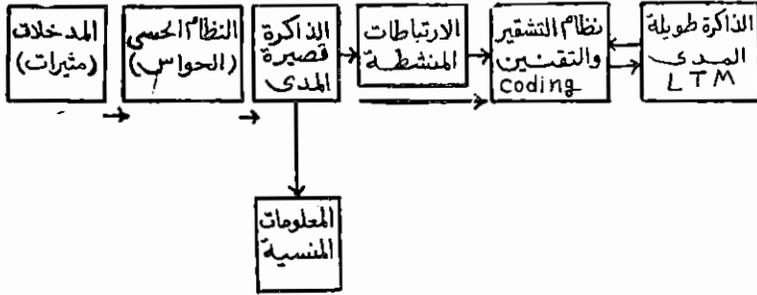
أو إلى رفع الكف عن سلوك تعرض سابقاً للكف . فعندما نرى شخصاً تدوسه عجلات الترام لأنه قفز من الناحية الخاطئة فإننا ندرك خطورة مثل هذا السلوك وقد نكف عنه ولكننا عندما نرى إنساناً ذو ميول عدوانية سيثاب على عدوانيته فإننا قد نميل إلى هذا المسلك وقد كانت الظروف المحيطة بنا في المجتمع قد ساعدت على كف هذا السلوك .

ويجدر بنا هنا أن نشير إلى أن التأثير يصل إلى غاية مداه كلما كان العمل المراد تقليد يخضع إلى تعزيز قوي فالكف أو رفع الكف عن سلوك معين يرجع إلى رؤية نتائج هذا السلوك بالنسبة للنموذج ورغم أن التعزيز الذي يناله الفرد المتعلم يفوق أثره التعزيز الذي يحصل عليه النموذج إلا أننا نرى هنا وجه الخلاف بين هذا النوع من التعزيز والتعزيز الذي سبق ذكره بالنسبة للاشتراط الإجرائي حيث أن التعزيز لا يقع على المتعلم ذاته بل على النموذج الذي يلاحظه ومن ناحية أخرى فإن هذا

النوع من التعلم تدخل فيه المحاولة والخطأ تدخلا أساسيا ولا يستلزم سلوكا مباشراً بل قد يحتفظ الإنسان بما استنبطه من الملاحظة إلى وقت لاحق وهو ما يسمى بالتقليد الغير مباشر .

خامسا : تشغيل المعلومات : Information - processing

يندرج إتباع هذه النظرية في قائمة المنادين بالصيغة الميكانيكية ولكن كما قلنا من قبل أن ذلك لا يعنى أنهم يتفوقوا مع الإشرافيين والاجتماعيين في كل ما يقولونه وقد رأينا اختلاف أولئك فيما بينهم . فرغم أنهم من طائفة (المثير / الإستجابة) إلا أنهم يحاولون أن يتصدوا لما يحدث بين المثير والإستجابة أو بمعنى أوضح ما الذى يجعل مثيراً ما يتغير تأثيره من وقت لآخر ؟ أو ما هى العمليات التى تؤدى بمثير معين لإستجابة معينة أى أنهم مشغولون بالعمليات الداخلة فى الإنسان ذاته مثل الإدراك ، الذاكرة ، الاهتمام ، التعرف ، حل المشكلات ، التفكير ، وهذا ما يجعل أكثر علمائهم يستخدمون لغة الحاسب الآلى والاستعارات الرياضية فهم يرون انسياب المعلومات من خلال مجموعة من العمليات مشابهة لبرامج الحاسب الآلى . ويمكن فهم ذلك بطريقة أوضح لو رجعنا لنموذج الذاكرة البشرية . يتم فيه تحليل المعلومات على مستويات متعددة حيث يتم تخزينها كما يتم تخزين المعلومات فى الحاسب الآلى ويمكن تثبيتها واستعادتها طبقا للمستوى الذى تم عليه التحليل والتخزين فنجد أن للظاهر الحسية الخارجية للمثير المقود يتم تحليلها على المستوى البسيط للذاكرة وهو الذاكرة ذات المدى القصير (Short term memory (STM) أما الذاكرة ذات المدى الطويل (Long term memory (DTH) فنجدها تتم بمستويات أعمق كالمعانى المتضمنة وتلك أكثر مقاومة للنسيان .



في هذا النموذج يؤثر المثير الخارجي على الحواس فتتقلبه الحواس للذاكرة قصيرة المدى ومن هنا أما أن يرتبط بأشياء مثيرة أخرى ومنها ينتقل إلى صندوق التشفير والتقنين فيتم البحث عن معانيه وقد ينتقل مباشرة بدون ارتباطات منشطة فيصل إلى مرحلة التخزين الطويل المدى وإما أن يركن في زاوية النسيان . ونساعد هذه النظرية على فهم التغييرات التي تحدث في قدرة الأطفال على استخدام الذاكرة كأداة وتدريب الأطفال على استخدام المستويات الأعمق لكي يجعل من الذكر تغذية رجعية لتتطابق الهدف مع الأداء .

الصيغة الكونية التركيبية The Organismic structural model يتخذ اتباع هذه الصيغة النظام البيولوجي باعتباره نمطاً مميزاً للكائن الحي الذي يعتبر بذلك مصدر نشاط نفسه والقوة المنظمة لهذا النشاط في الوقت ذاته والنظرة للطفل كنظام « أو كنسق » في حد ذاته دليل على تأكيد العلاقات بين أطراف هذا النظام أو جوانبه الداخلية فيه وخواصها أي أن وظيفة أي جانب لا يمكن النظر إليها بمعزل عن الجوانب الأخرى فالرؤية ليست محور وظيفة العين أو جزء معين منها وإنما هو خاصية الجهاز البصري كله متفاعلاً مع الأجهزة الأخرى كالأعصاب والوخ أي أن الكل ليس مجرد حاصل جمع الأجزاء .

وعندما نتخذ هذه الصيغة هاديا لنا في دراستنا للنمو فإننا نجد أن نركز على التركيب والوظيفة بدلا من المثير والاستجابة، فالنمو يعتبر تغيراً كيميائياً في تركيب النسق أو النظام عبر الزمن فالطفل الذى كان ينطق بكلمة أو اثنين واستطاع عبر الزمن أن ينطق بجملة مفهومة قد استطاع عن طريق تغير التركيب وإعادة تنظيم النسق، أن يقوم هذا النسق بوظيفة جديدة أكثر تعقيداً عن ذى قبل ولا يتم هذا التغير عن طريق قوى خارجية سلبية من ناحية الطفل وإنما عن طريق النشاط الذاتى النابع من كون الطفل كائناً حياً يبدأ بالتأثير على التأثر بالبيئة التى يكون فيها .

ويمكن أن نفهم هذه النظرة لو اعتبرنا نظرة العالم الألماني جو فريد ولهام فون لينز في القرن السابع عشر الذى أكد بأن النشاط هو جوهر المادة الذى يعنى الانتقال المستمر من حالة إلى أخرى وأن هذه الحالات تنتجها المادة ذاتها فى تتابع لا نهائى لا يتوقف باعتبارها عضوية لا ميكانيكية . ونرى صدق ذلك عندما ظهرت فلسفة جان جاك روسو فى القرن الثامن والذى نادى بأن نتخلص عن التسلطية ونترك للأطفال الحرية الكاملة فى استخدام قوتهم الطبيعية .

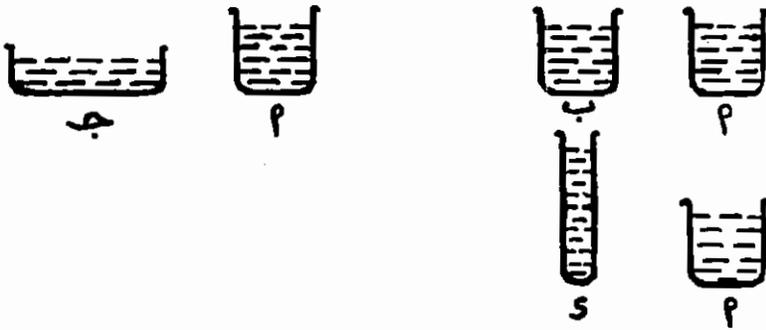
نعود فنقول أن اتباع هذه الصيغة يؤكّدون فى دراستهم للنمو على العلاقات بين التركيب والوظيفة وليس بين المثير والاستجابة أى أنهم يحاولون وصف التركيبات الموجودة فى سلوك الكائن الحى فى زمن ما وترتيب ظهورها والقواعد التى تحكم الانتقال من مرحلة لتاليها . ويمكن أن نجد تعليلاً لدراستهم للتركيب سواء البيولوجى منه أو السيكلوجى بأننا لانستطيع أن نفهم كيف يتصرف الطفل (كنظام يؤدى وظيفة) أو كيف ينمو حتى نفهم تماما هذا النظام الذى يتصرف أو ينمو . ولكى نفهم هذا التركيب يجب أن نعود لدراسة جان بياجيه لتركيب تفكير الأطفال ولدراسة التحليل النفسى للتركيب الانفعالى فى رأى فرويد وأريكسون .

يمكننا بصدق أن نعتبر جان بياجيه من أعلام علم نفس النمو في وقتنا الحالى . فلقد استنبط من الأبحاث التي أجراها على المراحل الأولى للنمو نظرية كاملة شاملة لكيفية انتقال الأطفال من مرحلة إلى أخرى بأنماط تفكير ثابتة واضحة تميز كل مرحلة ولكي نفهم بياجيه يجب أن نتذكر أن اهتمامه الأول كان بعلم الأحياء وعندما بدأ اهتمامه بالأطفال كان من الضروري أن يطبق ما درسه في علم الأحياء على دراسة النمو كما كانت كتابات الفيلسوف العقلاني إيمانويل كانت Emanuel kant في نهاية القرن ١٨ مصدر إلهامه أيضا فعلم الأحياء يهتم بتكيف الأنواع داخل بيئتها! وبتصنيفها عن طريق وضعها في نظام تطوري من البسيط إلى المعقد أو زمنى من أول المخلوقات إلى أحدثها على الأرض فن ناحية التكيف فكان تركيزه على الطريقة التي يتكيف بها الفرد مع البيئة التي يعيش فيها أى ماذا في تركيب الطفل يجعله يتكيف مع هذا العالم المعقد جداً وبطريقة رائعة ؟ ومن ناحية الخروج بتصنيف المراحل التي يمر بها الإنسان منذ الأخصاب حتى البلوغ وتطور قدراته من البسيط إلى المعقد في إطار نموه الزمنى وطبقا لفلسفة كانت Kant فإن القدرة على إصدار الأحكام العرضية والقدرة على فهم الزمان ، المكان ، العدد تعتبر من صفات العقل الموروثة وتجعل من الممكن أن يفهم الخبرة التي يمر بها ولقد شرع بياجيه في دراسة الكيفية التي تتطور بها تصنيفات التفكير عند الأطفال . فكان يطرح تساؤلات عديدة من بينها هل يفهم الأطفال عند مولدهم مفاهيم السببية ، الزمان ، المكان ، العدد أم هناك تركيبات أولية تتحول عن طريق الخبرة إلى تصنيفات التفكير التي نراها عند الكبار ؟

وحتى نفهم مفهوم التركيب في نظرية أساسها التركيب / الوظيفة يجب علينا أن نعرف أن التركيب Structure في رأى بياجيه يتركب من ثلاثة أفكار أساسية الكلية ، التبديل ، التنظيم الذاتي أى أنه نظام

كامل من التباديل تحكمه قوانين تحدد العلاقة بين أجزائه ودعونا نسردها
مثالاً يوضح ذلك .

عندما بدأ بياجيه في دراسته منشأ مفهوم الكَمَّ عند الأطفال استخدام
التجربة الشهيرة به والتي حاول به التوصل إلى مفهوم مبدأ ثبات المادة
وتطوره لدى الأطفال . وتتلخص تجربته في أنه يضع أمام الطفل كأسين
كبيرين متطابقين أ ، ب بهما كميتين متساويتين من الماء ثم يسأله إذا
ما كانا يتماثلان في الكمية فيجيب الأطفال بالإيجاب ثم يفرغ أحدهما ب
في كأس ثالث ج أقصر وأوسع فينخفض منسوب الماء فيه ويسأل الطفل
إذا ما كانت كمية الماء في الكأسين أ ، ج مازالت متساوية .



ويعيد الماء إلى الكأس الأول (ب) ثم تفرغ الكأس في أخرى رابعة
(د) أطول وأضيق قطراً ويسأل الطفل إذا ما كانت كمية الماء في الكأسين
أ ، د مازالت متساوية فإذا ما أجاب الطفل بأن كمية المياه هي هي فإنه
في هذه الحالة قد أدرك مبدأ ثبات الكَم بمعنى أنه فهم أن تغير شكل
الأناء لا يعني تغير كمية المياه فيه وإذا ما فشل في ذلك فنقول أنه لم
يتكون لديه هذا المفهوم بعد . فماذا حدث للطفل جعله يعي هذا المبدأ
بعد أن كان غير واع به من قبل ؟ الذي حدث هو أن تركيبه المعرفي قد
أعاد تنظيم نفسه فبعد أن كان تركيزه على المظهر الخارجي فقط دون

إدراك للعلاقة بين الارتفاع والاتساع أصبح يدرك هذه العلاقة والمنطق الذى يكمن وراء مبدأ ثبات المادة . وقد اثبتت التجارب التى أجريت على هذا المبدأ أن الأطفال يدركون هذا المبدأ مع بداية مرحلة العمليات الفكرية ومن هنا بدأت فكرة تقسيم النمو إلى مراحل متتالية :

مراحل النمو عند بياجيه :

لقد استعمل بياجيه مصطلح « مرحلة » بمعنى دقيق جداً فالطفل يمر فى نموه خلال مراحل متعددة كل مرحلة تشير إلى مستوى معين وهذه المراحل مرتبة بطريقة ثابتة بحيث لا تأتى مرحلة قبل سابقتها ولا يتخطى مرحلة متوسطة بين مرحلتين فكل مرحلة هى نتاج المرحلة السابقة لها وإعداد للمرحلة التى تليها وتتميز هذه المراحل عن بعضها كيفاً وكماً فتميز كل مرحلة عن سابقتها بإدراك مخالف للعالم أو للبيئة التى يعيش فيها الطفل أو لسلوك مخالف من ناحيته وهناك أربع مراحل رئيسية .

١ - المرحلة الحاسحركية Sensorimotor

٢ - مرحلة ما قبل العمليات المنطقية Pre operational

٣ - مرحلة العمليات الفكرية العيانية Concrete operational

٤ - مرحلة العمليات المنطقية أو التفكير الشكلى

Formal operational

ولكل مرحلة مميزاتها وخصائصها فتميز المرحلة الأولى والتي وضع لها بياجيه حدوداً زمنية تقريديية (الميلاد - سنتين) بالذكاء الحركي والتفكير اللالغوى المنصب على الإدراك الحسى لعالم محدود الزمان والمكان

وذا تية مغلقة تهتم بإشباع رغبتها الأولى . أما المرحلة الثانية وهى المرحلة السابقة للتفكير المنطقى والى تستمر من السنتين حتى السابعة فتميز ببداية ظهور اللغة ولكن النشاط اللغوى ما زال مرتبطاً بالتفكير الحسى الذى يعتمد على التخمين والمركزية Centration وينتج عن المركزية أى التركيز على مظهر واحد فقط من أى شىء واعتبار الطفل نفسه مركز الكون عدم القدرة على إدراك أصول الأشياء أو إرجاع ناتج العمليات لهذه الأصول وهى ما يسميه بياجيه بعدم القدرة على فهم مبدأ ثبات المادة .

أما المرحلة الثالثة وهى مرحلة العمليات الفكرية العيانية والى تبدأ فى السابعة وتستمر حتى الحادية عشر فتميز بالقدرة على فهم الأرقام والتسلسل وإرجاع الأشياء إلى أصولها واتساع دائرة المركزية ولكن الطفل ما زال غير قادر على التفكير الرمزى أو فرض الفروض أو التفكير المجرد وإن كان يستطيع إدراك العلاقات الكائنة بين الأشياء وتصنيعها حتى ينتقل إلى المرحلة التى تليها وهى المرحلة الخاصة بالتفكير الرمزى ويستمر من الحادية عشرة حتى الخامسة عشرة أو ما بعدها وتميز هذه المرحلة بوجود التفكير المجرد وعمومية الإدراك وفرض الفروض النظرية والوصول إلى الناتج دون اللجوء إلى المحاولة والخطأ كما تشهد هذه المرحلة نمو المثالية فى النظرة إلى العالم والشمولية فى التفكير والبعد عن مركزية الذات أى أنه وصل إلى مرحلة النضج العقلى الكامل . وهكذا نرى أن بياجيه ينظر إلى النمو باعتباره إنسلاخ أنماط أكثر تعقيداً من أنماط بسيطة سابقة وهذه الأنماط تنشأ من تفاعل الفرد مع البيئة كحالة التكيف معها .

التكيف : Adaptation

رأينا كيف أن النمو فى رأى بياجيه يمر خلال مراحل متعددة تتميز كل منها بتركيبات معرفية Schemata وأنماط سلوكية معينة ولكن يتبادر

إلى ذهننا سؤال كيف يحدث هذا التغير ؟ وما هي القوى التي توجه الطفل في مسار معين ؟ .

يحدث هذا التغير نتيجة التنظيم والتكيف . أما التنظيم فهو الميل لتجميع التركيبات النفسية والجسمية في أنظمة متناسقة وهذا الميل فطري ولكن الطريقة التي يتم بها التنسيق تختلف من فرد لآخر طبقا للفروق البيئية وأما التكيف فهو مفهوم أوسع من مفهوم داروين له والذي يقوم على أساس البقاء للأصلح فبالنسبة لبياجيه هو القدرة على التغير والتغيير في البيئة أيضا ويتم التكيف بأداتين المواعمة والمماثلة accommodation and assimilation والمواعمة هي الميل للتغير استجابة للبيئة مثال ذلك عندما يرى الطفل كرة يمد يده ليلتقطها وكل هذه الحركات ما هي إلا محاولة لتغيير وضع جسمه لكي يتلائم أو يتواءم مع الوضع الجديد ولكن بياجيه يؤكد أن هذه العملية لا يمكن أن تتم دون أن تتكامل مع المماثلة - والمماثلة تتم عن طريق استيعاب عناصر العالم الخارجي وتتطابقها مع التركيبات المعرفية والجسمية للطفل . وإذا عدنا إلى المثال السابق نستطيع القول بأنه بعد أن يستخدم هذا التركيب للتقاط أى شيء آخر فهذه هي المماثلة . وكلا المواعمة والمماثلة عمليتان متكاملتان فالمواعمة تتضمن تبديل التركيبات استجابة للبيئة والمماثلة تتضمن التفاعل مع البيئة على نسق التركيبات السابق تكوينها والعملتان تؤديان إلى إيجاد اتزان بين ما هو عند الطفل فعلا وما هو قائم واقعا ومحاولة التوفيق بينهما وهذه العملية التي تهدف إلى التكيف تسمى التوازن equilibration وهي ميكانيزم النمو الذي يظهر في إيجاد توازن تقدمي من حالة اتزان equilibrium أقل إلى حالة اتزان أعلى .

والذكاء عند بياجيه ليس تلك القدرة أو الصفة الهلامية التي يمتلك منها الفرد كميات معينة كما تبدو في مقاييس الذكاء المعتادة ولكنه طريقة لسلوك تنعكس في قدرة الفرد على التكيف ولأن التكيف يتم بطريقة المماثلة والمواعمة

أو الاستيعاب والتعديل فإن الذكاء يمكن تعريفه في إطار هذه القدرة ونواتجها وببساطة فإن الذكاء يظهر في السلوك المناسب لمتطلبات الموقف عن طريق وجود اتزان بين عمليتين التكيف إذن فهو عملية ونتاج وإذا كانت العملية لا تتغير فإن الناتج دائما في تغير لهذا فالتركيبات المعرفية تزداد كما وتتطور كيفا ومعرفة تطور هذه التركيبات المعرفية من ناحية الكم والكيف ما هو إلا معرفة للمراحل المختلفة للنمو :

مدرسة التحليل النفسي :

يعتبر أتباع هذه المدرسة من اتباع الصيغة الكونية التركيبية بإعتبار أنهم يعالجون موضوع تنظيم العاطفة مع الخبرة عن طريق دراسة التركيبات السيكولوجية التي تحل محل بعضها البعض داخل مراحل نمو تنسوخ إحداها عن الأخرى . ورغم هذه الأرضية المشتركة مع بياجيه إلا أنهم يختلفون عن بياجيه في أن اهتمامهم الأساسي ليس في التراكيب بصفتها العالمية المشتركة بين أفراد الجنس الواحد وإنما في تأكيدهم على التركيب الفردي كما أن بياجيه يركز على تطور العقل بينما يتجه أتباع هذه المدرسة إلى التركيز على الشخصية من جانبها الانفعالي من حيث الصراعات النفسية ومدى تحقيق النجاح في حلها أو التكيف معها .

سيجموند فرويد S. Freud

ارتبط اسم هذا العالم بمجال الطب العقلي والصحة النفسية أكثر من إرتباطه بمجال علم نفس النمو وإن كان لا يزال يشغل مكانة كبيرة في الدراسات الخاصة بنمو الشخصية . ونجد دراساته حتى الآن مصدرا للمفاهيم ومصطلحات فحص الاضطرابات العقلية . وفي الحقيقة تعتبر هذه الدراسات من بين الدراسات الأولى المنظمة والغنية في فهم نمو لإنسان :

وهناك جانبان متلازمان لهذه النظرية جانب يختص بوصف التركيبات

التي تتكون منها شخصية الفرد في إطار نموه النفس جنسى وجانب يصنف المراحل المتوازنة التي يسير فيها الإنسان في نموه النفسى .

ولقد بنى هذا الوصف بجانيه اللذين ذكرناهما على أفكار معينة عن الكائن البشرى وسنحاول في الجزء التالى أن نبين هذه الأفكار مع شرح مبسط لها :

الأفكار الأساسية :

من بين الأفكار الأساسية عند فرويد الفكرة القائلة بأن السلوك البشرى ومن ثم الإتجاه الذى تتخذه الشخصية فى نحوها ينبع من دافعين أساسيين :

الدافع للبقاء والدافع لحفظ النوع أما غريزة البقاء فهى ليست بأهمية الغريزة الثانية لحفظ النوع حيث أنها لا تتعارض أو تتداخل مع الواقع ومن ثم فإننا نجد أهمية خاصة للدوافع الجنسية عندما نطالع أو نبحث فى هذه النظرية .

والدوافع الجنسية عند فرويد لا تعنى مجرد الأنشطة التى ترتبط بالجنس فقط وإنما تتعداها إلى أنشطة أخرى أشمل وأعم فتصل بهذا الجانب من حياة الإنسان مثل مص الأصابع والتدخين . وقد أطلق على هذه الدوافع الجنسية مصطلحا خاصا هو الليبدو Libido على أساس أن الليبدو هو مصدر الطاقة لهذه الدوافع الجنسية التى أسماها بالدوافع الليبيديه وتطورت أبحاث فرويد فأضاف مفهومين جديدين لكى يشرح مصدر الطاقة أو الدوافع التى تحرك السلوك البشرى وهما الحب أو غريزة الحياة والبقاء Eros أو غريزة الموت والأعتداء Thanatus ونحن هنا لسنا بصدد مناقشة مدى أهمية هذه الآراء وإنما نحاول أن نضع ونوضح الأساس الذى استخدمه فرويد عند تحليله للنمو البشرى .

الاتجاه العام لسيجموند فرويد :

رأينا كيف أن غريزة الحب Eros تشمل دوافع البقاء وحفظ النوع

ومن ثم فإنها تلعب دوراً هاماً أساسياً في نمو الطفل ويجب علينا تفهم ذلك حتى نستطيع أن نفهم النظرية كلها . فالطفل الوليد له شخصية بدائية بسيطة لاتشمل سوى الدوافع الجنسية التي ستشكل المصدر الدائم لطاقته النفسية وقد أطلق فرويد على هذه الشخصية الأولى اسم « الهو » Id وهي تشمل كل الدوافع الغريزة التي يرثها الإنسان بصفته إنسان . والوليد البشري عند فرويد عبارة عن طاقة تبحث عن إشباع لغرائزه الطبيعية وليس عنده شيء يسمى ممكن أو مستحيل أو هناك ضمير يحكم سلوكه بل كل ما يوجه هذا السلوك الرغبة في اشباع عاجل لنزواته فإذا ما جاع صرخ حتى يصل لحلمة الثدي أو المرصعة فينسى كل شيء آخر وتسمعه يرضع مثل حيوان صغير . ومنذ الميلاد تبدأ هذه الدوافع في الاصطدام بالواقع فيجد الطفل أن حاجته للطعام تأتي عليها فترات لا يمكن إشباعها بسرعة وقد تأتي فترات لا يمكن فيها هذا الإشباع فالأم مشغولة أو في موقف لا تتمكن فيه من هذا الإرضاع ومن هذا الصراع الذي ينشأ من الصراع بين الهولاهي . وبين الواقع ينشأ مستوى ثان من الشخصية هو الأنا Ego وهو هذا المستوى العاقل الواقعي من الشخصية الإنسانية التي تترك الممكن من المستحيل بل تعرف أن تأخر الإشباع عادة ما يكون أمر مرغوباً فيه . وأن الأهداف طويلة المدى قد تتطلب تأجيل أو نسيان الأهداف قصيرة المدى ومن ثم تحاول «الأنا» توجيه رغبات الهو إلى قنوات يحصل منها الإنسان على أقصى فائدة له . ويجب علينا أن نأخذ بعين الاعتبار أنه ليس هناك تضاد أو تناقض بين «الهُو» والأنا فكلاهما يعملان من أجل هدف واحد هو إشباع حاجات الفرد . أما المستوى الثالث للشخصية فهو يسمى بالأنا العلوية Superego وهي تقع في مكان التضاد مع الهو والأنا وهي تحدد المظاهر الأخلاقية والهادفة للشخصية وهي مثل الأنا تنتج من الاتصال بالواقع أو البيئة ولكنها تتصل بالواقع الاجتماعي وليس بالواقع الجسدي ونمو الأنا العليا لا يحدث في الطفولة ،

أى بعد مرحلة الهو والرضاعة من خلال التنشئة الاجتماعية وتشمل القيم الاجتماعية والدينية باعتبار أنها تقف ضد الدوافع الموجودة فى الهو .

وهكذا نجد صراعا دائما بين الهو من ناحية وبين الانا العليا من ناحية أخرى وهذا الصراع يشكل السبب الرئيسى لأغلب إن لم يكن لكل أنماط السلوك المنحرف كما يرى فرويد .

المراحل النفسجنسية : Psychosexual Stages

يمكن تفسير ووصف فرويد للمستويات أو التركيبات الثلاثة للشخصية على أنه وصف لنمو الشخصية فأفكاره تشكل أساسا لفهم التغيرات الدافعية التى تحدث فى مراحل النمو المختلفة فنجد فرويد يقسم التغيرات التى تحدث فى الدافعية إلى مراحل متعاقبة يمكن تمييزها عن بعضها البعض عن طريق الأشياء أو الأنشطة اللازمة لإشباع رغبات الفرد أثناء كل مرحلة ولكى نفهم النظرية من أساسها يجب علينا كما أشرنا سابقا أن نفهم أن فرويد يؤكد الأساس الجنسى لهذا النمو ففى نظره أن النمو الجنسى يبدأ من الهو ويمر بمراحل متتالية حتى يصل الفرد إلى مرحلة النضج الجنسى فى المراهقة بمعناها الشامل . وذات الطفل هى مركز هذا النمو فالطفل نفسه هو موضوع الاستشارة الجنسية وتتحدد مناطق الاستشارة تبعا لنمو الطفل فهى تبدأ فى التحديد بالمرحلة الفمية Oral ثم المرحلة الشرجية Onal ثم تنتقل إلى الأعضاء التناسلية Genital ثم تفقد هذا التحديد الواضح فى سن السادسة وتظل كامنة غير واضحة المعالم والحدود حتى بداية مرحلة المراهقة حيث يبدأ النضج الجنسى ومظاهر الانفعال فى الجنسى المرحلتين الأولى والجنسية والشرجية هى المحافظة على الذات وفى المرحلة التناسلية هى المحافظة على النوع وهما أساس الدافع الجنسى .

وسنحاول فيما يلى أن نلخص أهم المظاهر الرئيسية لكل مرحلة من

هذه المراحل : -

١ - المرحلة الفموية : Oral Stage

وتستمر هذه المرحلة خلال سنى المهة والرضاعة منذ المولد حتى الشهر الثامن تقريبا ، وفي هذه المرحلة يتركز إهتمام الطفل في عملية الرضاعة ويشعر باللذة عندما يضع أى شىء في فمه ويتمثل ذلك في عملية الرضع من الثدي أو مص الأصابع أو تدخين سيجارة في الكبر ويقول فرويد أنه رغم إهتمام الطفل البالغ بإشباع رغباته الجنسية بأن هناك نزعة إعتدائية أو رغبة موتية Thanatos متضمنة في هذه المرحلة وتظهر في محاولات الطفل المتكرر لتخطيم الأشياء وسلوكه العدواني عندما يعرض ثدى أمه أو يد أبيه . وتتميز هذه المرحلة بظهور الهو فالطفل يركز كل إهتمامه في إشباع رغباته ودوافعه دون أى قدرة أو حتى رغبة تأخير هذا الإشباع ودون إتصال أو اهتمام بالواقع الذى يحيط به ، ومع غروب شمس السنة الأولى يتحول مجال الإشباع الجنسى من المرحلة الفموية إلى المرحلة الشرجية .

٢ - المرحلة الشرجية Anal Stage

يجد الطفل لذه بيولوجية في عمليتى التبرز والتبول يصطدم بالواقع عندما تفرض عليه أحد نظاما دقيقا لعمليتى التبول والتبرز فيخضع لهذا النظام لإرضاء لأمه من ناحية ولتنظيم عملية الاستمتاع ذاتها من ناحية أخرى ويبدأ في تكوين الأنا كحواولة لتنظيم العلاقة بين الهو (الرغبات الجنسية الحيوانية) وبين الواقع المحيط به عندما تتميز الأنا في وجودها تبدأ المرحلة التى تلى ذلك وهى المناطق الجنسية .

٣ - مرحلة المناطق الجنسية Phallic Stage

وفي هذه الحالة يتحول الإشباع الجنسى من المرحلة الشرجية إلى المناطق الجنسية وتستمر هذه المرحلة تقريبا من العام الثانى حتى سن السادسة وتسمى هذه المرحلة مرحلة المناطق الجنسية ليس فقط لتحويلها من المنطقة الشرجية

إلى الأعضاء الجنسية ولكن لأن المنطقة الجنسية للذكر هي محور الاهتمام ويتحول الإشباع إلى الإعجاب بالأعضاء التناسلية وحفظ الإناث على الذكور وتظهر بعض المخاوف من عملية الختان والعقد النفسية مثل عقدة أوديب حينما يرغب الولد في أن يحل محل أباه كمحور لحب والدته ويتمزق بين حب الأب وكرهه ويبدأ هذا الصراع في الذوبان فيتخلص الابن من مشاعر الرغبة نحو والدته يتقمص شخصية والده وتبدأ مرحلة أخرى في حياته، أما من ناحية البنت فهي لا تعاني من عقده أوديب بل من عقدة اليكترا فعندما تجد نفسها غير قادرة على أن تنافس أباهما في حب والدتها تبدأ في منافسة أمها في حب أباهما وتتم من هذه المرحلة مثلما يمر الذكر بتقمص شخصية والدتها ويقول فرويد أن لجوء بعض الأفراد إلى إختيار شركاء حياتهم من أناس يشابهون آبائهم أو أمهاتهم يعتبر مظهرا من مظاهر وجود بعض هذه الميول العقدية من هذه المرحلة وعندما يصل الطفل إلى حل العقد الأوديبية والإليكتيرية فإنه ينتقل إلى مرحلة الكمون وفيها يفقد اهتمامه بالجنس الآخر وفي هذه المرحلة تبدأ الأنا العليا في التكوين نتيجة تقمص شخصية الوالد أو الوالدة .

٤ - مرحلة الكمون Latency Stage

يبدأ فيها الطفل في تقمص الشخصية المثلية من الوالدين ويتضمن هذا التقمص كل شيء يقوم به الأب أو تقوم به الأم وما يؤمن به من معتقدات وتبدأ الأنا العليا في التحدد ، ويخبر إهتمام الطفل بالجنس فنجده الأولاد يميلون، إلى بعضهم وإلى إختيار زملاء اللعب منهم بينما تميل الفتيات إلى مثيلاتهم في إختيار أفراد اللعب . وتستمر هذه المرحلة حتى بداية البلوغ حوالي الحادية عشرة من العمر . عندما يدخل الطفل مرحلة أخرى تلي هذه المرحلة بحياها وكمون لإنفعالاتها الجنسية وتبدأ المرحلة التناسلية .

٥ - المرحلة التناسلية : Genital Stage

وتبدأ هذه المرحلة في المراهقة وتنقسم إلى خطوات ثلاث متعاقبة ماهى إلا إحياء للمراحل السابقة لمرحلة الكمون فتظهر المرحلة القمية في قضم الأظافر وتظهر المرحلة الشرجية في الأصوات المرتفعة والرغبة في الضوضاء وتبدأ العقد النفسية التي ظهرت في مرحلة المناطق الجنسية في تشذيب اتجاهاتها ويظهر الميل إلى الجنس الآخر وتطل الذات العلوية محاولة تأكيد وجودها فتبدأ متسلطة جامدة ثم تظهر مرونتها مع النضج الكامل وببساطة كاملة فإن فرويد يرى أن نمو الشخصية طبقاً لمراحلها المختلفة وإشباع الرغبات في كل مرحلة يؤدي إلى عدم ظهور العقد أو النزعة العدوانية والصراعات المختلفة بين هو والأنا العلوية . أما إذا ما صادف المرء عقبات في تحقيق ذلك فإنه يتعرض للإحباط والصراع الذي ينتج عنهما التوتر وعدم الاستقرار يصاحبها نزعة عدوانية أو شعور بعدم المبالاة واللجوء إلى عالم الخيال يسمح في أحلام اليقظة أو إننا نجد قنوات أخرى وطرق قرصنة غير سليمة لتحقيق هذه الغيات التي صادفتها العقبات ومثل هذه الطرق النكوص أى التقهقر إلى مرحلة من مراحل النمو الأولى أو عمليات لا شعورية مثل التبرير الذي يحاول به إظهار سلوكه في صورة معقولة ومقبولة أو الإسقاط بإلصاق عيوبه بالغير وبصورة مكبرة أورد الفعل كمحاولة لإخفاء الدوافع التي لا يرضى عنها الفرد نفسه أو المجتمع والتعبير عن دوافع مضادة لها بشكل مبالغ فيه أو يلجأ إلى كبت هذه الرغبات أو إحلال طريقة مقبولة للتعبير عنها بدلا من الطريقة الغير مقبولة أو التعويض عنها .

وهكذا زودنا فرويد بنظرة عميقة في نمو الشخصية والدوافع وراء السلوك في كل مرحلة من المراحل التي قسم إليها النمو ولكن هذا الوصف والتحليل يفيد في دراسة النمو المرضى أكثر من دراسة النمو السليم وستنتقل الآن إلى إطار نظرى آخر .

أريك اريكسون : Erik Erikson

إذا كان فرويد قد أعتبر الجنس هو الأساس للنمو وأسمى المراحل الخاصة به المراحل النفسجنسية فإن اريكسون قد أهتم بأثر الأحداث الاجتماعية على نمو شخصية الفرد ولذا أطلق اسم المراحل النفس اجتماعية Psychosocial stages على مستويات النمو عنده على أساس أن النمو النفسى يتعلق ويتأثر بالبيئة الاجتماعية ولقد قسم اريكسون « دورة الحياة كلها إلى ثمان مراحل كل منها تشمل صراعاً بين الفرد والبيئة ينتج عند نقطة تحول يكون الفرد فيها ذو حساسية بالغة وقابلية للتأثر رغم إمكانياته الهائلة ومن ثم فهي مصدر قوة وفي نفس الوقت احتمال للانحراف لدى الفرد . واطلق على المرحلة الأولى (المرحلة القمية عند فرويد) مرحلة التوحد Incorporative واعتبرها مرحلة استقبال ثم تمسك بالنمط المستقبل فالطفل يواجه أموراً كثيرة جداً غريبة عليه كثير منها متذبذب لدرجة أنه يصعب عليه أن يضع نمطاً توقعياً لما يحدث وتنتهى هذه المرحلة بحالة من عدم الثقة في النفس وفي الآخرين ولو استطاع الطفل أن يتخطى هذه المرحلة ولديه شعور بالثقة فإن ذلك هو ما ينبغى أن يكون عليه وباعتبار المراحل المختلفة مراحل صراع قد وضع اريكسون ذلك في تسميتها فأطلق على المرحلة الأولى الثقة في مقابل عدم الثقة Trust vs mistrust

أما المرحلة الثانية (Autonomy vs shame & doubt) والتي تقابل المرحلة الشرجية عند فرويد فتتميز في رأى اريكسون بالنبض المتضاد بين الاستمساك بالشئ أو تركه فهي مرحلة التدريب على التحكم في الإخراج ويا حبذا لو خرج منها الطفل ولديه شعور بالتسيير الذاتي وإلا انتهى به الصراع إلى حالة من الريه والحجل .

وتمثل مرحلة الطفولة المبكرة والتي تقابل المرحلة القضيبية عند فرويد

عند أريكسون مرحلة الدمور *Intrusive stage* وتتميز بالانطلاق إلى الآفاق الجديدة وفرض النفس على الآخرين حتى يحاول تحقيق ذاته في الصراع الأوديبى فيتقمص شخصية الأب المنافس وقد ينتهى به ذلك إلى الإحساس بذاته والقدرة على الأخذ بزمام المبادرة أو ينتهى به غالباً إلى إحساس بالذنب ويطلق أريكسون على هذا الصراع صراع بين المبادرة والشعور بالذنب *Initiative vs guilt* وتأتى المراحل التالية على نفس النمط من المواجهات البيولوجية والاجتماعية وتنتهى إلى استقطاب الطفل إلى ناحية من الناحيتين فالمرحلة المواجهة لمرحلة الكون عند فرويد مرحلة استقطاب بين السيطرة وإحساس بالنقص *mastry vs inferiority* فالطفل فى المرحلة الابتدائية يتعلم كيف يصنع وينتج ويتكون لديه إحساس بالقدرة وقد يفشل نتيجة معوقات بيولوجية أو اجتماعية فتنتهى به إلى إحساس بالنقص والمراهق فى صراعه مع الأنماط الجديدة عليه والمواجهة البيولوجية والاجتماعية قد ينتهى إلى إحساس بالهوية المتميزة أو تضيع هويته نتيجة لذلك الصراع *Identity vs identity confusion*

ويصعد أريكسون مراحل الصراع لتتخطى مرحلة المراهقة إلى مرحلة الرشد والنضوج والشيخوخة على نفس النسق الذى كان فى المراحل القبلية فيقول بأنه إذا استطاع الفرد أن يجتاز صراع المراهقة وتحددت هويته على أساس أنه فرد اجتماعى عامل ذو قدرات جنسية فإنه يتحول تجاه الآخرين من أجل علاقة تآلف تحقق الرضا لطرفها مع شخص آخر فإذا لم يستطيع فإنه يظل منعزلاً عن الآخرين فهى استقطاب بين الألفة والانعزال *Intimacy vs isolation* ثم ينطلق بعد ذلك إلى مرحلة تابعة يناقش فيها موضوع الأعمار *Generativity* ويمكن وضع هذه القضية فى صيغة تساؤل للفرد بما يجب أن يفعله أو ينتجه بخلافه بعد انتهاء حياته قد يكون فى إنجاب أطفال وتربيتهم أو اختراع شىء ما يبقى ذكراه أو إنتاج ثمرة من أى نوع يمكن أن تدل عليه عندما يتوه الدليل : وقد ينتهى

إلى حالة من الضياع والتبلد Stagnation وتأتى الشيخوخة ليجد الفرد نفسه فى صراع بين تفهم مكانه فى المجتمع ومكانته الجديدة والحديد من المسئوليات والمحددات وتحول الرؤية المستقبلية إلى الآخرين عن اقتناع وبين عدم القدرة على تفهم الوضع الجديد والشعور بالضعف فى مواجهة عدوانية المجتمع وتنتهى به إلى اليأس ولذا كانت هذه المرحلة مرحلة صراع بين تكامل الذات Ego integrity واليأس Despair .

فرويد وأريكسون :

| العمر الزمنى بالتقريب | مراحل فرويد | مراحل أويكسون |
|-----------------------|-----------------|-----------------------------------|
| الميلاد - 1 1/4 سنة | القمية | الثقة × عدم الثقة |
| 1 1/4 = 3 سنة | الشرجية | التسيير الذاتى × الريبة والحجل |
| 3 = 6 سنة | القضيبية | المبادأة × الشعور بالذنب |
| 6 = 12 سنة | الكمون | الإحساس بالسيطرة × الإحساس بالنقص |
| 12 = 19 سنة | المناطق الجنسية | الهوية المتميزة × الهوية الضائعة |
| 19 - 30 » | - | الألفة × الإنعزال |
| 30 = 45 » | - | رد الإثمار × التبلد |
| 45 = 60 » | - | تكامل الذات × اليأس |

لعل من الأمور الواجب التنويه لها الفروق الواضحة بين وجهة نظر فرويد وتطورها كما جاء فى وجهة نظر أريكسون وأوضحها رأى كل منهما فى المجتمع ووظيفته فبرى فرويد أن الهدف الأساسى للمجتمع هو تحديد سلوك الفرد من خلال الكبت والإعلاء وما الإعلاء إلا نوع من إعادة التنظيم والتركيب وقد بنى فرويد هذه النظرة على أساس (٣م - النمو النفسى)

أن الكائن البشرى فى أساسه ليس كائناً اجتماعياً وليس بقادر على أن يصبح كذلك لولا التنظيمات المحيطة . فالفرد والمجتمع كيانان يستقل أحدهما عن الآخر ولا ينسجمان مع بعضهما ومن هنا ظهر مفهوم الذات العلوية لكى يحكم ويوجه الاتجاهات والمشاعر والبصرفات الذاتية التى قد تهدد استقرار المجتمع بينما نجد أريكسون رغم اتفاقه مع فرويد فى أن كيان الفرد يسير بطريقة نمائية فى إطار مراحل متتابعة تنبثق عن صراعات ينتج عنها تحول شخصية الإنسان وهذه الصراعات يتم تسويتها على أسس اجتماعية . أى أن القوى الاجتماعية المحيطة بالإنسان لا تحدد الإنسان وإنما تساعد على إنطلاقه وأن كل مرحلة تعنى الانطلاق إلى آفاق جديدة للذات وأن المجتمع حين يواجه الفرد بتحديات تتطلب قدرات معينة فإنه يتيح للفرد فرصة ودافعية لاتساع قدراته وظهور منظور أكثر مرونة وتكيفاً لدور الفرد وعلاقاته فى العالم الخارجى .

| أريكسون | فرويد | ميدان الاختلاف |
|---|--|---|
| من الميلاد حتى الشيخوخة ما بين الأشخاص اجتماعى - ثقافى الناحية الاجتماعية الذات عمليات ثانوية ما بين الفرد وأبويه والثقافة التي تنشأ فيهما اجتماعية | من الميلاد حتى الرشد داخل نفسية الشخص بيولوجى - سيكلوجى الناحية الجنسية الهو عمليات أولية ما بين الفرد وأبويه اكلينيكية | المدى المجال المنحى التركيز مصدر للسلوك الأساس العلاقات الأساسية محاكات السلوك |

ومما لاشك فيه أن نظرة التحليل النفسى برغم ما قيل عليها قد أحدثت تأثيراً لا يستهان به على دراسات النمو وخاصة تلك التى تختص بعلاقة الالتصاق بالأم والدور الاجتماعى القائم على نوع الجنس وتفسيرات التقمص لدى الأطفال وطرق تربية الأطفال وتوجيههم الاتجاه السوى وتتبع أساس اضطرابات النمو بصفة عامة .

النمو اللغوى

الإنسان حيوان ناطق :

يواجه الوليد البشرى تحدياً كبيراً بعد ولادته فى كيفية توصيل طلبات لمن حوله والتعبير عما يجول بنفسه من رغبات وتبدأ مواجهة هذا التحدى باستخدام الصراخ ولكن لا يستمر ذلك طويلاً فتتحول هذه الطريقة إلى نظام لغوى معقد يتركب من رموز وأصوات ليس لها صلة ملموسة بما تعبر عنه ولا بد وأن يكون لدينا قدرة معينة تمكننا من هذا التحول وهذه القدرة كامنة من نظامنا الفكرى وقادرة على أن تؤدى بنا إلى اكتساب اللغة ولا شك فى أن هذه القدرة الفكرية هى ما تميزنا عن باقى المخلوقات حتى أن المفكرين الباحثين الذين يدعون القدرة على تعليم بعض الحيوانات العليا القريبة من البشرىات مثل الشمبانزى والغوريلا على اكتساب اللغة لم يتوصلوا إلى تعليم هذه الحيوانات على فهم واستخدام التركيبات اللغوية والقواعد التى تحكم تداول هذه الرموز واستخدامها لنقل أفكار معقدة أو مجردة أو التعبير عن مفاهيم معينة أو فهم استخدامات حديثة دون سابق خبرة بها .

ولقد كانت هذه القدرة وما زالت محل بحث واستقصاء منذ الأيام الأولى للفكر البشرى وقد أدت هذه البحوث والاستقصاءات إلى إثارة جوانب جديدة للمشكلة قبل أن تؤدى إلى التوصل إلى حلول للأسئلة